

الجمعة 16 شوال 1442 الموافق 28 ماي 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ

إخوة الإسلام:

لقد خص الله عز وجل الأمة المحمدية بمزايا لا توجد عند من سبقها من الأمم، ومن هذه الخصائص أنَّ التكليف الشرعية جاءت ميسرة لا عسر في أي وجه من وجوهها، وقد كانت كذلك بغية أن تتماشى مع ما فطرت عليه الطبيعة البشرية من الضعف، ضعف البنية وضعف الإرادة، وضعف العزيمة وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عن عبده ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته، وهذا من رحمة الله التامة وإحسانه الشامل، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 28)

وقال جل في علاه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: 185)

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنْزِلَتْ عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِ﴾ (الحج: 78)

ومفهوم اليسر في اللغة، ضد العسر (المعجم الوسيط، مادة: يسر، 1065 / 2)

وأما اليسر في الاصطلاح: فهو تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة، كما جاءت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، من غير تشدد يحرم الحلال، ولا تميميع يحلل الحرام، ويدخل تحت هذا المسمى: السراحة والسعة ورفع الحرج وغيرها من المصطلحات التي تحمل المدلول نفسه، كما أن اليسر أيضا هو فعل ما يحقق الغاية بأدنى قدر من المشقة. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَنًا، وَلَا مُتَعْتَنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبَشِّرًا» (رواه مسلم)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ» (رواه البخاري)

والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدنيوية، ويترك الرفق إلا عجز، وانقطع فيغلب (فتح الباري، لابن حجر 1/94) ولما بعث النبي ﷺ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لهُمَا: «يُسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتَلِفَا» (رواه البخاري ومسلم)

وقالت عائشة رضي الله عنها: «مَا خَيْرٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا» (رواه البخاري ومسلم)

وغيرها من النصوص الكثيرة الدالة على سماحة الإسلام وسهولته ومرونته.

إخوة الإسلام:

إن معالم التيسير في الشريعة الإسلامية تظهر في مجالات كثيرة، منها:

1- تيسير القرآن العظيم:

فقد جعل الله عز وجل القرآن ميسرا حتى يسهل فهمه وتدبره، وحفظه والأخذ به، قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 22)

ومن صور تيسير القرآن إنزاله على سبعة أحرف كما قال ﷺ:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ» (البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

قال ابن عطية: إن المراد بالسبعة الأحرف سبع لغات متفرقة في القرآن العظيم، فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وكذلك سائر العرب.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: 2)، وإسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولا واحدا.

وأما سبب وروده على سبعة أحرف، فللتخفيف على هذه الأمة، وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبينا ﷺ، عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أصابة بني غفار، قال: فاتاه جبريل عليه السلام، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ»، فقال: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ أَنَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ»، فقال: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ»، فقال: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّبَاعَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأْتَهُ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا». (رواه مسلم)

ولا بد من معرفة أنه لا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل عليها القرآن لا تتضمن تناقضا في المعنى ولا تضادا، بل معناها متفق أو متقارب، أو هو مختلف إختلاف تنوع لا إختلاف تضاد وتناقض.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا﴾ (البقرة: 259)، أي نرفعها من أماكنها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد، وأصل النشز: الإرتفاع، ومنه قيل: قد نشز الغلام إذا ارتفع طوله وشب، ومنه نشوز المرأة على زوجها. قرأ بها عاصم وابن عامر وحزمة. وقرأ نافع وابن كثير أبو عمرو: ﴿نُنشِئُهَا﴾، بمعنى نحيتها بعد موتها، وغير ذلك. فهذا وأمثاله مما اختلف لفظه ومعناه، أو اتفق لفظه واختلف معناه، أو اتفق لفظه ومعناه، لكن تنوع من حيث صفة النطق به كالهزات والمدات ونقل الحركات ونحو ذلك، كله حَقٌّ يجب الإيمان به واتباع ما تضمنه من المعنى علما وعملا، ولا يجوز ترك شيء منه أو تكذيبه.

2- تيسير العقيدة الإسلامية:

إن التكاليف الإعتقادية جاءت ميسرة سهلة، حتى تكون قريبة للفهم، مُسهلةً على العقل، لا صعوبة فيها ولا مشقة، بحيث يَشْتَرِكُ فيها الجمهور، مَنْ كان منهم ثاقب الفهم أو بليدا، فإنها لو كانت مما لا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ، لم تكن الشريعة عامَّةً (الموافقات للشاطبي بتصريف يسير. 141/ 2).

ومن الأدلة على سهولة العقيدة وعمومها أن الأعاجم لا يجدون فيها صعوبة ولا مشقة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: «يارسول الله؛ إن عليّ عتق رقبة مؤمنة»، فقال لها رسول الله ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: «مَنْ أَنَا؟»، فأشارت بإصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: «أَعْتَقَهَا» (رواه الإمام أحمد وأصله عند مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه)، ولفظه: فقال لها أين الله، قالت في السماء، قال من أنا، قالت أنت رسول الله، قال أعتقها فإنها مؤمنة.

3- تيسير العبادات:

وفي مرونتها تخفيف على الناس حتى يسهل أداؤها بلا مشقة لا تطاق، ومن أمثلة ذلك ما رواه عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرٌ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ» (البخاري) وغيرها من الأمثلة الكثيرة جدا.

4- المعاملات:

ولها أيضا نصيب من التيسير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى» (البخاري)

من فقه الحديث: الحظ على التحلي بخلق السماحة، وهي: التسهيل والتنازل والتغاضي في الأمور، وعدم الشدة والتصلب.

5- من مظاهر التيسير في الإسلام أيضا:

الوسطية والإستقامة، والبعد عن الغلو والتطرف والزيادة، قال تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: 112)

أي لا تتجاوزوا ما حد لكم في الإعتقاد والقول والعمل.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: «قلت يارسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك»، قال:

«قل آمنت بالله ثم استقم» (مسلم)

لذا على المسلم أن يستقيم على شرع الله تعالى، بلا غلو وطغيان، إذ الغلو في الدين ضرره عظيم وشره مستطير، وآثاره سيئة للغاية على الغالي نفسه وعلى أسرته، وعلى مجتمعه وأمته.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (النسائي) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» (أخرجه مسلم)

وَالْمُتَنَطِّعُونَ هُمْ: الْمُتَعَمِّقُونَ، الْغَالُونَ، الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَهُمْ الْمُشَدُّونَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ التَّشْدِيدِ.

ومن أعظم أسباب هذا الغلو: الجهل بالدين، لا سيما إن كان الغالي من أنصاف المتعلمين، أو ممن يجعل نفسه من العلماء غلطا، فيضل ويضل بغير علم وهو يحسب أنه يحسن صنعا، أو كان من المجتهدين في علم من العلوم الشرعية، ولكنه لا يتأدب مع العلماء السابقين ولا العلماء اللاحقين، ولا يتسع صدره للخلاف معهم في مسائل الإجتihad، ويريد أن يلزم الناس بقوله طغيانا وظلما.

أيها المسلمون:

إن التيسير مقصد عظيم من المقاصد الكبرى للشريعة الإسلامية، وقد أمرنا أن نلتزم به في فهمنا للدين، والعمل به والدعوة إليه، ووجوده في رسالة النبي ﷺ من الأدلة الواضحة على كمال رحمة الله تعالى بهذه الأمة، وعلى أنها وحي من عند الله تعالى، وهي شريعة قادرة على إسعاد الناس إلى يوم القيامة، وفيه دلالة أيضا على عالميتها، ما جعل الإسلام ينتشر في العالم كله بسبب هذا السماحة المتوافقة مع الفطرة والعقل.

ولكن يجب الحذر من إستغلال مصطلح تيسير الدين في التحلل من أحكام الإسلام، وفهم اليسر على غير حقيقته، فقد يقع بعض الناس في التهاون بأوامر الله ورسوله، مثل: ترك الصلاة وأكل الحرام، وتعدي حدود الله عموما بحجة التيسير والتخفيف، وهذا أمر يجب الحذر منه.